خطبة الزهراء عليها السلام ثورة الحق ومعجزة الاحتجاج

المدرس الدكتور
حسن كاظم أسد الخفاجي
جامعة ميسان ـ كلية التربية

خطبة الزهراء عليها السلام ثورة الحق ومعجزة الاحتجاج

المدرس الدكتور
حسن كاظم أسد الخفاجي
جامعة ميسان ـ كلية التربية

المقدمة:ـ

الزهراء عليها السلام بذرة الرسالة المحمدية والإنموذج الأكمل للقدوة الحسنة، سواء في حياتها السلوكية أو الإيمانية، فقد كرمها الله تعالى وجعل منها سيدة نساء العالمين.

جاءت تعاليم القرآن الكريم مؤكدة على التأسي بالقدوة الحسنة، وأولاها اهتماما كبيرا، وحث المؤمنين على اتباعها واقتفاء أثرها، وهي لاشك من العوامل الأساسية التي لها الدافع في تطوير شخصية المسلم والارتقاء به إلى مراحل الكمال. إن عالم القدوة ليس هو أن تصل إلى مستوى من تقتدي به، ولكن أن تعتبر بمن تقتدي وتعده النموذج الأعلى للفضائل والقيم من خلال اتصافه بها، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، فكل من أراد أن يتكامل في إيمانه وسلوكه فعليه التأسي بشخصية وسلوك النبي صلى الله عليه وآله، والزهراء عليها السلام هي بنت الرسالة وتربية الوحي فهي القدوة الحسنة كملت وحازت جميع صفات الكمال، التي يمكن لكل امرأة تسعى إلى التكامل الاقتداء بها.

يهدف البحث إلى تقديم دراسة تحليلية متواضعة لخطبة الزهراء عليها السلام، فقد كان من نتائج خطبة الزهراء أن أعادت الروح الحي للأمة من أجل المبادئ، ثم ليخلص إلى أن هذه الخطبة هي ثورة للحق ومعجزة في الاحتجاج يعجز

الإنسان عن وصفها، فقد جمعت بين طياتها قوة البلاغة ودقة المعاني وسبك العبارة وترابط السياق، بأسلوب فني وإعجاز جدلي رائع، وفضلاً عن إلى قوة بيانها تعرضت فيها إلى مسائل التوحيد وصفات الخالق وأسمائه الحسنى وأهمية القرآن الكريم وفلسفة الأحكام وأسرارها بإسلوب دفاعي في نقد الأوضاع القائمة مستندة على إيمانها المطلق بالله ورسوله، لتنير الدرب للأجيال في المطالبة بالحق وإثبات مكانة المرأة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، فقد وقفت تحاجج الخلافة، مركزة على الانتصار للحق، والاندفاع في سبيله فهي درس للأجيال وانتفاضة الضمير، التي بقيت ولا تزال ثورة وإشعاعاً.

وقد انتظم البحث على محاور عدة: فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء عليها السلام وإرساء معالم البيت الإسلامي، نص الخطبة، خطبة الزهراء عليها السلام ثورة الحق ومعجزة الاحتجاج ، ثم الخاتمة والهوامش والمصادر

فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين:ـ

لاشك ولا ريب أن أسس السيادة لا تنطلق من نسب فقط، وإنّما فضلاً عن عامل النسب يأتي عامل التربية الخلقية والإيمانية مكملا لها، و لا نجد امرأة كانت لها خصائص الزهراء عليها السلام في نسبها، وفي إيمانها وفي خلقها؛ لذلك فهي سيّدة من حيث عناصر السيادة الذاتية، وهي سيّدة من خلال مواقفها، فالزهراء عليها السلام هي القدوة في كلّ شيء؛ لأنها بقيت ولا تزال تعطي دروساً كثيرةً للإنسانية في الفكر والجهاد، كما أن فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين من خلال تأكيد الرسول صلى الله عليه وآله على شخصيتها، إذ قال النبي صلى الله عليه وآله: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة)[٢]، وقال: (إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)[٣].

و (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبّها فقد أحبني)[٤]

و (فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي)[٥].

هذه الشّهادات جاءت في الروايات المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي لا ينطق عن الهوى. وهذا القدر من التأكيد على شخصية الزهراء عليها السلام يفهم من خلاله السبب الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك؛ لكونها ستأخذ دورا من الأدوار المتميزة في حركة التاريخ الإسلامي.

فالمرأة قبل الإسلام وفي كل الحضارات السابقة للإسلام، لم يكن لها مثل هذا الدور المتميز الذي رسمه الإسلام لها، لذلك فقد أعطى الله الزهراء عليها السلام منزلة عظيمة، لكي تتأسى بها نساء العالمين، فالحياة الطيبة والكريمة للمرأة لا يمكن الحصول عليها في غير شخصية وسيرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

تحدث القرآن الكريم عن نساء كان لهن دور متميز في التاريخ الإنساني، فقد وصفهن بأوصاف عديدة من قبيل الاصطفاء والتطهير والموقع الخاص، أما الزهراء عليها السلام فإن الأمر مختلف، فإن لحياتها في الدعوة الإسلامية دوراً مهماً وله أبعاد أوسع بكثير من ذلك الذي ذكره القرآن الكريم، فالزهراء عليها السلام، حينما يصفها النبي صلى الله عليه وآله بأنها سيدة نساء العالمين، يراد من ذلك إعطاء الأبعاد المختلفة في هذه الشخصية، ومن ثم إعطاء هذه الأبعاد لشخصية المرأة في كافة أدوار الحياة؛ لأن الزهراء عليها السلام هي المثال الصالح للمرأة التي يريدها الله، وقطعة من الإسلام المجسّد في محمد، وقدوة للمرأة المسلمة وللإنسان المؤمن في كلّ زمان ومكان.

إنّ معرفة الزهراء عليها السلام من خلال دراسة حياتها محاولة لفهم الإسلام، وذخيرة قيّمة للإنسان المعاصر.لذلك فهي كانت تحاول أن تشارك أباها في جهاده فتسعى متمثلة عطف الأم ورعايتها في العناية بشخص الرسول النبي صلى الله عليه وآله وفي أدائه الرسالي في مواجهة الأحداث الجسام فقد كان الرسول

الكريم صلى الله عليه وآله محاطا بالأعداء، هذا من حيث هي الزهراء عليها السلام أما من حيث شخص الرسول صلى الله عليه وآله فقد وجد عطف الأم والزوجة والبنت في فاطمة. فقد أكد الرسول وفي مواقف عديدة دور الزهراء عليها السلام العاطفي ونجاحها، الأمر الذي ساعده في تحمل الأعباء الرسالية العظيمة.

الزهراء عليها السلام قدوتكم في العبادة وقدوتكم في الأخلاق والجهاد والعطاء والإيثار. إن الإسلام يقول للمرأة في العالم، سيدة نساء العالمين لا بنسبها، ولكنها سيدة نساء العالمين بفضائلها، فتعلموا منها الحب والعطاء والمسؤولية والمواجهة والمعارضة للظلم والانحراف.

فاطمة الزهراء عليها السلام وإرساء معالم المجتمع الإسلامي:ـ

فاطمة الزهراء عليها السلام نقطة تحول عظيمة، وهي إشراقة الإيمان، وشعلة العقيدة، جمعت رجاحة العقل، وعمق التفكير. وقوة الوعي والصلابة والثبات في الفكر والإيمان، والفصاحة والبلاغة والفضيلة، فكانت آية من آيات الله.

إن المتتبع لسيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يجد أنها مدرسة متكاملة في مختلف أبعاد الحياة فينبغي أن تكون قدوة لجميع الإنسانية في بناء الذات البشرية لكي ترسى القاعدة الأساس التي يقوم عليها البناء الحضاري الشامل، ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وآله أولى النفس البشرية أهمية خاصة، وجعلها الأساس الذي تتم فيه عملية التغيير، فقد هذب صلى الله عليه وآله النفس البشرية وطهرها من رواسب الجاهلية، وتعد أساليب التعليم التربوي الإسلامي من أروع ما وصل إليه التقدم البشري، فقد أشارت الآية الكريمة لهذا المعنى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٦] فإذا تمت القاعدة يقوم البناء العقلي والذهني والعلمي، وبإمكان

الإنسان بعد توفر القاعدة توظيف العلم في الخير والسيطرة على مسارات حياته وسلوكه.

هذه خطوة مهمة للإصلاح الاجتماعي في مجتمع قد أصابه التفتت قبل البعثة، ولكن بولادة الزهراء عليها السلام، أشرقت مفردات الإصلاح في المجتمع من خلال دور الزهراء عليها السلام، ذلك عندما أحاط الرسول صلى الله عليه وآله الزهراء عليها السلام بالرعاية والتكريم، وأراد من ذلك أن يخلق صورة للمجتمع الجديد، والذي يكن للمرأة الاحترام، وتجسيد الأخلاق والإنسانية، حتى يترك انطباعاً في المجتمع، أن المرأة تستحق التكريم والاحترام، بهذه الخطوات العملية أدى الرسول صلى الله عليه وآله منهجاً إسلامياً توجيهياً لم يكتف بالعلم فقد وضع العمل مكملا إلى كمالات الإنسان، فخطوات الإسلام العملية الرسالية تعد العامل الأمثل في التأثير، أي كلما كانت الخطوة عملية وواقعية يكون تأثيرها أكثر عمقاً، أما إذا كانت الفكرة تدور في نطاق العلم فحسب، فإنها لا تؤثر كثيراً في النفوس.

ويعد احترام البنت والمرأة من أفضل الخطوات في هذا المجال، وهكذا فإن احترام الزهراء عليها السلام يدخل في هذا الإطار؛ فقد كان عاملاً حيوياً في إعادة الاعتبار للمرأة، وكان له الأثر الكبير في إصلاح العديد من جوانب الحياة والتي تخص حياة الإنسان ومنها إصلاح البيت الأسري، فقد أضحى لبنة أساسية في جدار المجتمع وعاملاً أساسياً في تغيير القوى المعنوية داخل الإنسان.

وبالتالي أثر ذلك إيجابا على قيام المرأة بدورها في بناء الأسرة، ويرتبط بإعطائها الاعتبار واحترام مكانتها، فإذا تم احترامها وتقدير جهودها، فإنها تقوم بدورها وتخلص في مهمتها وهذه قاعدة حياتية؛ إذ الاحترام والتقدير يدفع الإنسان إلى أن يبدع في عمله.

فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تؤكدان أن المرأة من حيث هويتها الإنسانية، تحظى وتتصف بهوية كاملة في إنسانيتها، ولا يوجد فيها أي جانب من جوانب النقص، بحيث يؤثر سلباً على تكاملها. ولهذا أعطى الإنسان حقوقاً في هذه الحياة من أجل أن يوصل سيره إلى الله سبحانه وتعالى ويبلغ درجات الكمال الإنساني القريب من الله تعالى. وأهداف الإسلام منهجيته واضحة في شخصية المرأة كما أنها واضحة في شخصية الرجل، فكما أن الرجل في هويته الإنسانية وفي شخصيته وواجباته العامة، وفي أهدافه ومواهبه وإمكاناته يتمتع بالهوية الإنسانية الكاملة، كذلك المرأة فهي تتمتع وتتصف بهذا الجانب، لأن النظرة الجاهلية بكل أشكالها قبل الإسلام، كانت تعد المرأة ناقصة من حيث الكمال، وتعيش تحت رعاية الرجل وتابعة في شخصيتها له وليست لها استقلاليتها في المجتمع. الإسلام أراد أن يوضح حقيقة من الحقائق التي لها علاقة في بناء المجتمع الإنساني، وهذه الحقيقة هي أن المرأة في إنسانيتها كاملة، كما أن الرجل كامل في هذه الإنسانية، والنبي صلى الله عليه وآله هو قدوة الرسالة الخالدة، فقد أراد الله عزّ وجل له الاستمرار في وجوده الإنساني، وفي وجوده الرسالي من خلال ذريته، وقدّر الله تعالى أن تكون هذه الذرية متمثلة في امرأة هي ابنته الزهراء عليها السلام من الأدوار المهمة التي يمكن أن نجدها في شخصية الزهراء عليها السلام وبصورتها الكاملة، ونفهم من خلاله جانباً آخر من أدوار المرأة في الحياة الإنسانية، هو دور التكامل الفردي في الحركة نحو الله سبحانه وتعالى. نتعلم من حياة الزهراء عليها السلام وسيرتها الثبات في المواقف والصبر في الشدائد، إذ لم يشغلها مرضها وألمها وحزنها على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته عن الوقوف مع الحق لتدافع عنه بكل ما آتاها الله من قوة، فوقفت وخطبت وتكلمت واحتجت لإثبات حقها، حتى أنّها واصلت الاحتجاج إلى ما بعد وفاتها بأن أوصت أن تدفن ليلاً ويعفى قبرها ولا يشارك في تشييعها من ظلمها، هذا الدور الذي تمثله الزهراء عليها السلام والذي قامت به من خلال العمل السياسي،

يعلم المسلمين كيف أن للمرأة في هذا المجال ما للرجل، تتحمل المسؤوليات الخاصة في خدمة المجتمع والتضحية من أجله، والجهاد في سبيل الله تعالى وفي البذل والعطاء إلى حد الاستشهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء كان المنكر السياسي أو الشرعي أو العقائدي أو الاجتماعي(٧).

إن دور الزهراء عليها السلام السياسي كان من أجل نصرة مبدأ الإمامة، وترسيخ مبدأ الولاية، والدفاع عن هذا الحق، إذ نجد الزهراء عليها السلام تبادر إلى هذا الدور، وتنهض به بأفضل ما يمكن أن يؤدى. كانت الزهراء عليها السلام رائدةً في العمل السياسي والجهادي من خلال معارضتها وثورتها واحتجاجها، هكذا ينبغي أن تكون المرأة المسلمة مقتدية بالزهراء عليها السلام، غير منشغلة بنفسها وزينتها عن القيام بواجباتها الاجتماعية والسياسية.

نص الخطبة:ـ

(الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته، وحياشة لهم إلى جنته، وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله

اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة علما من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته. ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة: تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وإمامتنا: أمانا للفرقة والجهاد: عزا للإسلام، والصبر، معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف: مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الأرحام: منساة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص:

حقنا للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: إيجابا بالعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء. ثم قالت أيها الناس اعلموا: إني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله، فبلغ الرسالة، صادعا بالنذارة مائلا عن مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم آخذا بأكظامهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال، فلما اختار الله

لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزة هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأني تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا، ومن يبتع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء ويصير "❖" منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشاء، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته. أيها المسلمون أغلب على إرثي يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ وقال ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول (المرء يحفظ في ولده)؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟ فخطب جليل: استوسع وهنه واستنهر فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا، وصراخا، وتلاوة، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب علي عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " أيها بني قيلة أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم

العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين فأنى حزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد. ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخف باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون. وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون. فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان. وقال: يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيما، وعلى الكافرين عذابا أليما، وعقابا عظيما، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الأخلاء آثر على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله، وأني أشهد الله وكفى به

شهيدا، أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه " وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك، ولا ندخر دونك، وأنك وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لاندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك صلى الله عليه وآله فقالت عليها السلام: سبحان الله ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا يقول: يرثني ويرث من آل يعقوب ويقول: وورث سليمان داود وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب

أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء وبان بأورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون. ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وكل أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب

تجهمتنا رجال واستخف بنا ... لما فقدت وكل الأرض مغتصب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يونسنا ... فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما مضيت وحالت دونك الكثب

ثم انكفأت عليها السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار، قالت: لأمير المؤمنين عليه السلام: يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة ابني! لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت حدك افترست الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلا، ولا أغنيت طائلا ولا خيار لي، ليتني مت قبل

هنيئتي، ودون ذلتي عذيري الله منه عاديا ومنك حاميا، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! مات العمد، ووهن العضد شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربي! اللهم إنك أشد منهم قوة وحولا، وأشد بأسا وتنكيلا)[٨].

خطبة الزهراء عليها السلام ثورة الحق ومعجزة الاحتجاج:ـ

كانت خطبة الزهراء عليها السلام (التي ألقتها والتي تحمل في طياتها معاني ودلالات كثيرة تصلح لكل عصر وهذا السر الخالد متأتي من الدور الإنساني الذي أدته والمتمثل بان أئمة الهدى وعصمتهم تلتقي بالنبوة عن طريقها وهذا في حد ذاته يراه من يمتلك بصيرة بأن هذا الارتباط عروة قوية فبالزهراء عليها السلام ترتبط الإمامة بالنبوة)[٩].

على الرغم من المأساة التي تعرضت لها الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله فقد استطاعت أن تؤدي دورها في إلقاء الحجة لإحقاق الحق والدفاع عن الإمامة في خطبة بليغة أعادت تعاليم الحق التي نادى بها القرآن الكريم بها ، ثم إنها عليها السلام لّما منعت حقها في نحلتها فدكاً توجهت للأنصار معاتبة كونهم هم الذين نصروا الرسول صلى الله عليه وآله: فلم تلق منهم إلا الجحود بردهم إياها:(يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعلي أحداً. فقالت: (وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لأحد عذراً)[١٠] كما أنها عليها السلام لم تترك للأنصار من عذر لخلفيتها العلمية في أصول المحاجة كيف لا وهي بنت الوحي التي تربت تحت إشراف الرسول صلى الله عليه وآله، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: (أنّ عليّاً عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمارٍ وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي عليه السلام أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى

الناس أُنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه)[11]، وهكذا نرى الزهراء عليها السلام وفي اليوم الأول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله منعتها الخلافة من حقها فكان لابد لها من أن تنتفض مطالبة بإرث والدها فأجابوها بأنها لن ترث، إذ قال أبو بكر: لقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث) قال هذا القول معترفاً بأنّ أحداً من المسلمين غيره لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وأنه وحده الذي سمعه، ثمّ أضاف بأنه لا يقبل شهادة عليه.

فما معنى لا شهود، وهو رخص لنفسه الشهادة، بينما هو المدعي فكيف يشهد لنفسه في دعوى هو فيها المدعّى عليه. وإذا كان يرى أنّ شهادة رجل وامرأة لا تُقبل فكيف تُقبل شهادة رجل وحده، الأصل في تعاليم الإسلام هو أن من يرث له الحق في مال مورّثه والخليفة يدعي كونه سمع من النبي صلى الله عليه وآله شيئا وهو (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث). إذن فقد أصبح طرفا في قضية ولا يجوز له الحكم يدعي أمرا ويفصل فيه الحكم هذا والله العجب ، في مثل هذه القضايا لابد من شاهد على صدق دعواه هو، ليس من فاطمة أن تأتي بشهود، كونها صاحبة اليد فلو أن امرأ كان يلبس ثوبا وجاء رجل وادعى أن هذا الثوب له، فالقاعدة الإسلامية تقول: أن على المدعي أن يأتي بشهود تؤيد كلامه وليس المدعى عليه. ثم أن الخبر لا يخصص عموم الكتاب ،وموقف أبي بكر من فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله، وما فعل معها هو اعتماد خبر الآحاد في تخصيص مقابل عموم الكتاب القطعي الصدور.

تعد خطبة الزهراء عليها السلام تراثا إسلامياً عظيماً، فلو تأملنا في نص الخطبة نجد أنها، اشتملت على أمور هي:

١- تبتدئ بتوحيد الله ونفي الشريك، ثم بالحمد والثناء عليها وهذا هو منهج القرآن الكريم الذي نهلت منه الصديقة وهي مقتفية كتاب الله في

الابتداء بالبسملة التي تهدف إلى توحيد الله رحيم الدنيا ورحمن الآخرة، ومن ثم الحمد والشكر وذكر آلائه ونعمه كما هو ظاهر في سورة الفاتحة ، والشكر والثناء يدفع المؤمن إلى معرفة ذاته جل وعلا والإخلاص له بالعبودية، وهو هدف ركزت عليه الزهراء عليها السلام.

٢- تعرج الزهراء عليها السلام إلى دفع المسلمين إلى قضية مهمة وهي الركيزة الأولى وجزء من حجتها على القوم إلا وهي مسؤولية المسلمين تجاه القرآن المجيد، بأن لا يتركوا القرآن، فأوامره و نواهيه واضحة في مسألة الإمامة، وانه كتاب حارب التعصب، فقد وصفت الكتاب الذي ظاهره أنيق، و باطنه عميق، و أدلته مقنعةً منجيةً في إحقاق الحق بالحجة والبرهان الساطع.فقد دعمت كلامها بقول الرسول صلى الله عليه وآله: (إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة و من تركه ساقه إلى النار).

٣- وبعد أن أعطت حق الإله وحق القرآن الكريم جاءت إلى بيان منزلة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فقد بينت عصمته وهي جزء من نبوته، و هدفها من ذلك أن صفات المعصومين لا تتوفر لأي كان من البشر إلا من حباه الله واختاره لأن يكون على قدر معين وعظيم في قيادة الأمة، فلن يتمكن أي شخص من القيام بأعباء الرسالة الكبيرة.

ثم تحث المسلمين على التمسك بتعاليم الدين والدفاع عنه من خلال شحذ الهمم والتذكرة، وهي مسؤولية المسلمين في إبلاغ الرسالة، والدفاع عن قوانين و تعاليم و قيم الدين الحنيف من المسؤوليات الخطيرة التي لو تقاعس المسلون عن أدائها كان حقّا عليهم أن ينتظروا العقاب والجزاء الإلهي، وحذرت من مخالفة القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، والتمسك بأفكاركم العاجزة على وجعلتم أنفسكم حكاماً على القرآن، بذريعة المصلحة وخوف الفتنة، فسوف يصيبكم

الخسران المبين.

٤- بيان الأحكام الشرعية فكلماتها درس في فلسفة الأحكام إذ قالت: (جعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملة وإمامتنا أمانا للفرقة والجهاد عزا للإسلام والصبر معونة على استجاب الأجر والأمر بالمعروف مصلحة للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد والقصاص حقنا للدماء والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس واجتناب القذف حجابا عن اللعنة ، وترك السرقة إيجابا للعفة)، فكل ثلاث كلمات قانون بل دستور، لنا جميعا وأعظمها طاعتنا نظام للملة، وإمامتنا أمان من الفرقة ، يعني لو اطعنا أهل بيت الرحمة، وولياهم على أمور الرعية، لساد النظام والحق المجتمع.

كما أكدت على الزكاة التي هي مدعاة إلى تحرير الإنسان من حب الدنيا، حتى تكون للأمة ثروات تتلافى واقع المسلمين من فقر وحرمان بوضع أنصاب على أموال الموسرين من المسلمين.

ومن خلال الصيام دعت فاطمة الزهراء المسلمين إلى معايشة الفقراء فللصيام أهمية في جعل الإنسان مسيطراً على هوى نفسه، و يثبت فيه روح الإخلاص.

ولم تغفل عليها السلام مناسك الحجِّ ذلك التجمع الإسلامي العظيم الذي تثبت فيه أسس الإسلام، حيث يجد المسلمون أنفسهم في مكان واحد يجمعهم ويجمع

أفكارهم وهو دعوة إلى التوحيد في جوار الله تعالى.أشارت سيدتنا إلى كل ذلك مبينةً آثار و علاج كلٍّ منها.

وأشارت الزهراء عليها السلام مبينةً آثار وعلاج أمور عبادية أخرى كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتعلق بمسائل القصاص والالتزام بالتعهدات، ومحاربة من يبخس الميزان و طهارة الحجور من الفجور وترك شرب الخمر وإقرار قيادة المعصومين لتنظيم اجتماعي منتهجاً خط التوحيد، ويبعد عنهم النفاق والتفرقة.

٥- كل هذه الأمور أشارت إليها الزهراء عليها السلام للوصول إلى هدفها المنشود وهو التركيز على المطالبة بفدك، والمتأمل في خطبة الزهراء عليها السلام أنها أرادت من خلال المطالبة بفدك المطالبة بالخلافة، وهو من صميم هدفها، فقد أبانت في طيات كلامها أنها قد سلبت التراث الموروث عن النبي وهو الخلافة، ولقد انتبه المقابل بذلك؛ لأنه لو أقر لها بفدك أقر لها بالخلافة وهذا الأمر أيضا تنبه له المغتصبون على مر التأريخ. (قال ابن أبي الحديد: سألت ابن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، و قلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال نعم، قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً و هي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً: لو أعطاها اليوم فدكاً لمجرد دعواها؛ لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة و زحزحته عن مقامه و لم يمكن الاعتذار و الموافقة، لأنّه يكون قد سجل على نفسه أنهّا صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة و شهود)[١٢].

وقد تم لها بإعلان موقفها من الخلافة، فقد بدأت بوصف نفسها للحاضرين، ثم استدرجت في حجتها ليتم لها نفاذ ما بأيدي السامعين من حجج و أعذار لنصرتها. وتأتي مرحلة بيان جهود النبي ومعاناته التي مرت

بالرسول صلى الله عليه وآله وكيف أنه قام بإبلاغ رسالة ربه العظيمة، وبتذكيرهم بأنهم كانوا مجموعةً مؤمنةً صغيرةً وهم بين اللتيا والتي بين الشرك من جانب وبأعداء الإسلام، حتى لا يتناسوا نِعَمَ الله الجزيلة، ثم تذكر القوم بفضائل أمير المؤمنين من خدمات لهذه الأمة، و كيف أن النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يرسله في لهوات الأحداث الجسيمة فيحسمها لصالح الإسلام وهذا هو دأب الرسول صلى الله عليه وآله لمواجهة الحوادث الخطرة و التصدي لها، إذ كان يدافع عن الإسلام بأهل بيته وقد حدثنا التأريخ عن غزواته الكثير فقد كان الإمام علي، مضحياً بنفسه وناصراً للرسول صلى الله عليه وآله. لقد أقامت الحجة على الخليفة في مجادلتها بأمر فدك، وكيف أنه أعادها جاهلية مرةً أخرى، حيث أن في الجاهلية لاحظ للأنثى في الميراث ولم يكن الموضوع مقتصراً على مسألة "فدك" فحسب، بل إن المهم هو خطر إحياء سنن الجاهلية و محو سنن الإسلام، لذا قامت في هذا القسم بتوجيه حملاتها عليهم.

في هذه الخطبة الحكيمة تعرضت إلى أدلتهم في حجبها فدكا باعتمادهم روايات آحاد نسبوها للنبي وبعد أن أقامت الحجة عليهم بأسلوب قرآني معتمدة المنطق الصحيح وبأدلة من عموم القرآن وخصوصه، فتثبت ومن خلال ذلك أن جميع الأبناء يرثون آباءهم و أمهاتهم في الإسلام، باستثناء بعض الأبناء الكفرة لا يرثون من أب و أمٍّ مسلمين.

منها قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[١٣]، وكذلك قال تعالى: ﴿أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[١٤]، ثم تذكره بمآل الأمر وان يوم الفصل هو الحكم بينها وبينهم إن نفعت الذكرى ولكن لا حياة لمن تنادي أنكم ستقفون، فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم فيها، و الرسول صلى الله عليه وآله المدعي، والموعد يوم القيامة.

ومع كل ذلك ألقت الحجة على من سمعها وهو طلب نصرة الأنصار بالإشادة في حديثها بطائفة الأنصار، موصفةً إياهم بالصفوة أهل النصرة لرسول صلى الله عليه وآله،(ثم هي وعلى قاعدة هذا الاتهام تتوجّه بخطاب الملامة للأنصار؛ تستقبح فيهم السِنة عن ظلامتها بعد سابقتهم المشهودة في النصرة لأبيها لدين أبيها، وهل بعد قولها هذا استفزاز لحميتهم الدينية:" أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع..وتتصاعد حدّة الاستثارة للحمّية درجة التوبيخ" توافيكم الدعوة فلا تجيبون؟ وتأتيكم الصرخة فلا تعينون؟ وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح.." إلى أن تضعهم أمام مرآة أنفسهم وتصدم وجدانهم بجملة حقائق حين قالت فيهم من جملة قول يهزّ الوجدان "..ونكصتم بعد الإقدام")[١٥]، كما أظهرت لهم الشكر والثناء بسبب ما بذلوه في خدمة الرسول صلى الله عليه وآله منذ دخوله المدينة وما تحمّلوه من عناء و مصاعب قبل ذلك في سبيل الإسلام. فهي قد استعملت كافة أنواع الاستثارة للوجدان والضمير (والذي يشتمل على تنوّع في مقاماته بين تذكير بالسابقة في الدين والجهاد، واستثارة للوجدان والحمية الدينية بأقوى ما يمكن أن تكون عليه الاستثارة في لغة العاطفة، ومن عتاب وتوبيخ قاسيين- قساوة الحقيقة - يستفز فيهم عناصر الخيرية ويحرضهم على الفعل والحركة، بعد هذا تنهي كلامها لهم بهذا الاستدراك المحير للألباب " ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم.. ولكنّها فيضة النّفس، ونفثة الغيظ.. وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة.."، وحتى يعلم من أنها تخاطب في هذا المورد من خطبتها الأنصار حصرا، فالخذلة لا تبدر إلا ممّن توسمت فيهم المسارعة إلى نصرتها في ظاهر الحال، لاعتبارات عدّدتها وهي تخاطبهم). أنهت الزهراء خطابها، وقد أوضحت فيه الحقّ بأجلى صورة، واستجوبت الخليفة وفضحت مخططاته بالأدلة والبراهين الساطعة المحكمة وذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام وكمالاته المطلوبة، فتوتر الجو وانساق الرأي العام لصالح الزهراء، وبذلك قد

جعلت الخليفة في موقف حرج أمام الرأي العام.

الملخص:-

الزهراء عليها السلام بذرة الرسالة المحمدية والإنموذج الأكمل للقدوة الحسنة، سواء في حياتها السلوكية أو الإيمانية، فقد كرمها الله تعالى وجعل منها سيدة نساء العالمين.

جاءت تعاليم القرآن الكريم مؤكدة على التأسي بالقدوة الحسنة، وأولاها اهتماماً كبيراً، وحث المؤمنين على إتباعها واقتفاء أثرها، وهي لاشك من العوامل الأساسية التي لها الدافع في تطوير شخصية المسلم والارتقاء به إلى مراحل الكمال. إن عالم القدوة ليس هو أن تصل إلى مستوى من تقتدي به، ولكن أن تعتبر بمن تقتدي وتعده النموذج الأعلى للفضائل والقيم من خلال اتصافه بها، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١٦]، فكل من أراد أن يتكامل في إيمانه وسلوكه فعليه التأسي بشخصية وسلوك النبي صلى الله عليه وآله، والزهراء عليها السلام هي بنت الرسالة وتربية الوحي فهي القدوة الحسنة كملت وحازت جميع صفات الكمال، التي يمكن لكل امرأة تسعى إلى التكامل الاقتداء بها.

يهدف البحث إلى تقديم دراسة تحليلية متواضعة لخطبة الزهراء عليها السلام، فقد كان من نتائج خطبة الزهراء أن أعادت الروح الحي للأمة من أجل المبادئ، ثم ليخلص إلى أن هذه الخطبة هي ثورة للحق ومعجزة في الاحتجاج يعجز الإنسان عن وصفها، فقد جمعت بين طياتها قوة البلاغة ودقة المعاني وسبك العبارة وترابط السياق، بأسلوب فني وإعجاز جدلي رائع، ففضلاً عن قوة بيانها تعرضت فيها إلى مسائل التوحيد وصفات الخالق وأسمائه الحسنى وأهمية القران الكريم وفلسفة الأحكام وأسرارها بأسلوب دفاعي في نقد

الأوضاع القائمة مستندة على إيمانها المطلق بالله ورسوله، لتنير الدرب للأجيال في المطالبة بالحق وإثبات مكانة المرأة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، فقد وقفت بلا قلق تحاجج الخلافة، مركزة على الانتصار للحق، والاندفاع في سبيله فهي درس للأجيال وانتفاضة الضمير، التي بقيت ولا تزال ثورةً وإشعاعاً.

وقد انتظم البحث على محاور عدة: فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء عليها السلام وإرساء معالم البيت الإسلامي، نص الخطبة، خطبة الزهراء عليها السلام ثورة الحق ومعجزة الاحتجاج ، ثم الخاتمة والهوامش والمصادر.

الخاتمة:ـ

لا تزال فاطمة الزهراء عليها السلام صوتاً ينير درب الأجيال، فقد وقفت تحاجج الخلافة من خلال نقد الأوضاع القائمة مستندةً على عقيدتها الخالصة، وأيمانها المطلق بالله تعالى، فهي درس للأجيال وانتفاضة الضمير، التي بقيت ولا تزال ثورة وإشعاع للإحقاق الحق بإسلوب فني رائع وبإعجاز جدلي لم يسبق له مثيل، من خلال المطالبة بإرثها، فقد كانت فدك مجرد عنوان لإعلان الموقف من الانحراف، واثبات بطلان الخلافة؛ لأنها خالفت النص القرآني والسنة الطاهرة.

أرادت الزهراء أن تلقي الحجة في الربط بين غصب فدك وغصب الخلافة، وقد نهجت للأحرار نهجا عنوانه أن لا مساومة مع الباطل ولا انهزام، وأنّ المرأة كالرجل مسؤولة عن حفظ الرسالة، وساحة النضال كما أنها تتسع للرجل تتسع للمرأة، وينبغي في نهاية المطاف القول: إن هذا البحث لا يهدف إلى تحويل الزهراء عليها السلام إلى عنصر فرقة بين المسلمين، لأن هذا لم يكن من خلق بنت الرسالة المحمدية، وأيضاً لا يستقيم وأهداف خطبة الزهراء عليها السلام.

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings be upon our master Muhammad and his family and companions and after.. Zahra H atom and the Mohammedan message form full of good role models, both in the behavioral or her life of faith, the generosity of God and made her a lady of the worlds.Came the teachings of the Quran, emphasizing the torment by example, and accorded great importance, and urged the faithful to follow and trace, which is no doubt of the fundamental factors that have a personal motive in the development of the Muslim and elevate it to the stages of perfection. The world of role models is not up to the level of role models, but that is those who follow the example and prepared by the top model of the virtues and values through Atsafh out, anyone who wanted to integrate with his faith and his conduct, he torment the character and behavior of the Prophet f, and Zahra H is the girl the message and raising revelation is a good example complemented and won all the attributes of perfection, that each woman be integrated that emulated them. The research aims to provide an analytical study modest speech Zahra H, it was the results of speech Zahra returned the Spirit live to the nation for the principles, then concludes that this sermon is the revolution of the right and the miracle of the protest is beyond human description, has brought together with it the power of eloquence and accuracy meanings and casting the phrase and the interdependence of context, artistic style and miracles controversial wonderful, in addition to the power of her statement during which the issues of standardization and qualities of the Creator and His most beautiful names and the importance of the Koran and the philosophy of the terms and secrets manner defensive in the criticism of existing conditions based on the belief in the absolute God and His essenger, to illuminate the path for generations to claim the right and prove the status of women he wanted God Almighty, it has stood without concern argues succession, focusing on the victory of the right, and the rush is in

the process is a lesson for generations, and the uprising of conscience, which still remained the revolution and radiation.Has attended several research areas: Fatima Zahra H of the women of the worlds, Fatima Zahra H and the establishment of the Islamic features of the house, the text of the speech, speech-Zahra H revolution and the miracle of the right to protest, then the conclusion and footnotes and sources

هوامش البحث

(١) - سورة الأحزاب:٢١.

(٢) - صحيح مسلم - مسلم النيسابوري: ١٤٣/٧ + النسائي – السنن الكبرى: ٥ / ١٤٦ +محمد صالح المازندراني -شرح أصول الكافي: ٢٢٢/٧+ الطوسي -الأمالي: ٢٤٨+ ابن شهر آشوب-مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٠٥+ ابن البطريق-العمدة / ٣٨٦+ احمد بن عبد الله الطبري-ذخائر العقبى / ٤٣+ المجلسي-بحار الأنوار: ٢٩ / ٣٤٤.

(٣) - الصدوق- الاعتقادات في دين الإمامية: ١٠٥+ ابن شهر آشوب- مناقب آل أبي طالب: ١٠٧/٣+ ابن طاووس- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف:٢٦٦+ احمد بن عبد الله الطبري- ذخائر العقبى: ٣٩.

(٤) - القاضي النعمان المغربي -دعائم الإسلام: ٢ / ٢١٤+ الصدوق-من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٥٨٥.

(٥) - المجلسي -بحار الأنوار: ٤٣ / ٥٤+ الماحوزي-كتاب الأربعين: ٣١٦+ الأميني-الغدير: ٢٠/٣.

(٦) - سورة آل عمران: ١٦٤.

(٧)- فاطمة الزهراء..قراءة في خطبة الاحتجاج ومفاعليها الحوار الديني www.alhiwaraldini.com/Portal/Cultcure/Arabic

(٨) - الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ١ /١٣٢ - ١٤٠

(٩)- عبد الحسين رزوقي الجبوري وعبد الأمير جاووش- فاطمة الزهراء عليها السلام جانب من دورها السياسي في نظرية السلطة

(١٠) - الصدوق-الخصال: ١٧٣+ المجلسي-بحار الأنوار: ٣٠ / ١٢٤.

(١١) - المجلسي-بحار الأنوار: ٢٨ / ٣٥٢+ الماحوزي-كتاب الأربعين: ٣٤١+- ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٣+ عبد الرحمن أحمد البكري-عمر بن الخطاب: ١٤٧

(١٢)- شرح ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٤

(١٣)سورة النساء:١١.

(١٤) سورة الأنفال:٧٥.

(١٥)- فاطمة الزهراء..قراءة في خطبة الاحتجاج ومفاعليها
www.alhiwaraldini.com/Portal/Cultcure/Arabic الحوار الديني
(١٦)- سورة الأحزاب:٢١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦هـ)

١- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم-ط١-١٣٧٨ - ١٩٥٩ م - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه

ابن البطريق(ت٦٠٠هـ)

٢- العمدة، سنة الطبع: جمادي الأولى ١٤٠٧هـ-الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم .

ابن شهر آشوب(ت ٥٨٨هـ)

٣- مناقب آل أبي طالب، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م-المطبعة ونشر: الحيدرية - النجف الأشرف

ابن طاووس (ت٦٦٤ هـ)

٤- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، الطبعة: الأولى-سنة الطبع: ١٣٩٩-المطبعة: الخيام – قم.

أحمد بن عبد الله الطبري(ت ٦٩٤هـ)

٥-ذخائر العقبى، سنة الطبع: ١٣٥٦-الناشر: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة.

الصدوق (ت٣٨١هـ)

٦- الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد-ط٢-١٤١٤ - ١٩٩٣ م-الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

الصدوق(ت٣٨١هـ)

٧- الخصال، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش
-الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة

الصدوق: محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ).

٨- من لا يحضره الفقيه، تحقيق على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- ط٢ -قم - ١٤٠٤هـ.

الطبرسي(ت٥٤٨هـ)

٩- الاحتجاج، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان- ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف

الطوسي: محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).

١٠-الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة -ط١- ١٤١٤هـ - قم.

عبد الحسين رزوقي الجبوري و عبد الأمير جاووش

١١- فاطمة الزهراء عليها السلام جانب من دورها السياسي في نظرية السلطة

عبد الرحمن أحمد البكري (معاصر)

١٢- عمر بن الخطاب، الطبعة: السابعة-٢٠٠٥م-الناشر: الإرشاد للطباعة والنشر - بيروت - لندن

١٣- فاطمة الزهراء-قراءة في خطبة الاحتجاج ومفاعلها
www.alhiwaraldini.com/Portal/Cultcure/Arabic

الماحوزي (ت١١٢١هـ)

١٤- كتاب الأربعين، تحقيق: السيد مهدى رجائي-الطبعة: الأولى- ١٤١٧هـ- أمير – قم

المجلسي: المجلسي محمد باقر (ت١١١١هـ).

١٥-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. مؤسسة الوفاء-ط٢-١٤٠٣هـ -بيروت.

محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)

١٦- شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني/ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور- الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م- المطبعة والنشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان

مسلم: مسلم بن الحجاج ابن مسلم بن ورد القشيرى النيسابوري (ت٢٦١هـ).

١٧- صحيح مسلم، منشورات دار الفكر. بيروت. لبنان.

النسائي: أحمد بن علي بن شعيب (ت٣٠٣هـ).

١٨- سنن النسائي: السنن الكبرى، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -ط١- ١٣٤٨هـ- بيروت.

النعمان: ابن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت٣٦٣هـ).

١٩-دعائم الإسلام: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام. تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي دار المعارف، منشورات دار المعارف بمصر ١٣٨٣هـ.